البناء
السنة السابعة / الجمعة / 16 تشرين الأول 2015 / العدد 1908
Seventh year / Friday / 16 October 2015 / Issue No. 1908

هل تتراجع روسيا أمام الضغط والتهويل؟

■ حميدي العبدالله

بات واضحاً أنّ الحكومات الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة بدأت حملة تهويل واسعة النطاق لدفع روسيا إلى التراجع عن الإسهام إلى جانب الجيش السوري في مكافحة الإرهاب، أو على الأقل حصر هذه المساهمة بضربات جوية ضدّ تنظيم «داعش» من دون المساس بالتنظيمات الإرهابية الأخرى.

تعتمد حملة التهويل أساليب متنوّعة بينها التلويح بتسليح المعارضة وفتح الحدود أمام تدفق جديد للإرهابيين إلى سورية، بل تحدّثت صحيفة «نيويورك تايمز» عن تجنيد ما بين 3 إلى 5 آلاف إرهابي وإرسالهم عبر الحدود التركية بذريعة محاربة «داعش».

هل تتراجع روسيا أمام هذا التهويل وتهديدها بأفغانستان جديدة في سورية؟

لا شك في أنّ ثمة معطيات تؤكد أنّ الإسهام الروسي في مكافحة الإرهاب في سورية يختلف عن التدخل السوفياتي في أفغانستان، لا سيما لجهة مصيرية المعركة ضدّ الإرهاب في سورية للحفاظ على استقرار روسيا وأمنها القومي ووحدة أراضيها، لذلك لن تتراجع روسيا عن سعيها بالتعاون مع الدولة السورية لاستئصال الإرهاب، ولا سيما الإرهابيين المتواجدين في أرياف حلب ومحافظة إدلب وريف حماه لكون غالبية هؤلاء يتحدّرون من أصول روسية.

لو كان الصراع بين روسيا والغرب هو فقط على المكانة الدولية والنظام الدولي متعدّد الأقطاب لربما كان ثمة أمل بتراجع روسيا ولو موقتاً عن المواجهة مع الغرب إلى توقيت لاحق، لكن ما يمثله خطر الإرهاب في سورية على استقرار الأراضي الروسية ووحدتها وأمن روسيا القومي لا يتيح فرصة للتراجع، مهما بلغت الضغوط وحدة التهويل، فروسيا في سورية لن تقبل أقل من تدمير الإرهابيين ولا سيما المتحدّرين من أصول روسية، وفرض الجيش السوري سيطرته على مناطق يسيطر عليها هؤلاء الإرهابيون في المناطق السورية المتاخمة للحدود التركية.

القيادة الروسية ترى وجود الإرهاب في سورية تهديداً يفوق تهديد انضمام أوكرانيا إلى الناتو والدوران في الفلك الأميركي، إذ أنّ جلّ ما يترتب على التحاق أوكرانيا بالناتو، وهو أمر مرفوض بقوة من قبل روسيا، إحداث تغيير في التوازن الجيوسياسي سيكون له تأثير سلبي على دور روسيا ومكانتها في أوراسيا، وعلى المستوى الدولي، ولكن الإرهاب في سورية يهدّد وحدة واستقرار والأمن القومي لروسيا، وهذا ما عبّر عنه صراحة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ورئيس وزرائه ديمتري ميدفيديف، حيث أكدا أنّ القتال ضدّ الإرهاب في سورية هو لحماية أمن روسيا واستقرارها.

هذه المعطيات تؤكد أنّ الرهان على انكفاء روسيا أو المساومة على إلحاق الهزيمة الكاملة بالإرهابيين، ولا سيما الذين يتمركزون في إدلب وريف حلب الشمالي والجنوبي، هو رهان لا يستند على أيّ أساس، وموسكو مصمّمة على خوض هذه الحرب حتى نهايتها.

أبرز الغارقين سورياً.. السعودية وتركيا

■ سعدالله الخليل

حالة من القلق لا يمكن إخفاؤها تجتاح قادة الحرب على سورية وتبدو واضحة المعالم في زحمة التطورات الميدانية المتسارعة التي أحدثتها صدمة الغارات الروسية على مواقع التنظيمات الإرهابية في سورية، وما رافقها من عمليات برية تأتي أكلها على الأرض. قلق يتحوّل إلى هستيريا غير قابلة للسيطرة عليها، تنتاب وزير خارجية مملكة آل سعود وشريكه ثعلب «الإخوان المسلمين» بنسخته «الحضارية» داوود أوغلو العدالة والتنمية التركية.

ففي ذروة المواجهة السعودية المفتوحة ضدّ سورية وموسكو لا تتردّد المملكة عن الاستمرار في تقديم الدعم لمجموعاتها وفصائلها المقاتلة على الأرض، ولم تجد حرجاً في الإعلان عن سعيها لجلب التأييد للمعارضة السورية، ولو دارت العالم كله بحثاً عن تزويدها بالسلاح والعتاد لمواجهة ما تصفه بالغزو الروسي الصليبي، والذي يتطلب جهاداً مقدّساً، استنفرت علماءها لدعوة المسلمين إليه نصرة لأهل الشام أو بالحقيقة نصرة لتنظيم «داعش» أو «جبهة النصرة».

وبغضّ النظر عن التنظيمات المطلوب نصرتها، معتدلة أم غارقة في التطرف، فإنّ الدعوات وصيحات التكبير تشحذ همم أتباعها وتدعم قنواتها الفضائية ببعض الفيديوات على أبعد تقدير، لكنها لا تواجه طائرات تدك معاقلها وتخلخل بنيانها بالتزامن مع حملات عسكرية برية للجيش في أرياف دمشق وحمص وحماه.

وحدها صواريخ الأرض جو قادرة على مواجهة الطائرات ومضايقتها والحدّ من نشاطها على الأرض، وهو ما منعت واشنطن الرياض من تسليمه إلى مسلحيها، حيث امتثل آل سعود للتعليمات الأميركية بوقف إمداد الفصائل بصواريخ «ستينغر» خشية صدام مع القوات الروسية، تدفع موسكو لتوسيع رقعة المواجهة وللردّ في الدول الداعمة ما يوقع واشنطن في مواجهة مع روسيا هي في غنى عنها، بما يعقد أجواء التفاهمات التي ترسمها واشنطن والتي تؤمّن في الحدّ الأدنى سلامة طيّاريها في الأجواء السورية ويمنع التصادم مع الطائرات الروسية، ما يعني إبقاء المغامرات السعودية ضمن حدود أرض الميدان ورفع الراية الأميركية أمام أي شطحات سعودية غير محسوبة النتائج، وهو ما يفسّر امتناع واشنطن عن نشر قوات برية رغم نشر القيادة المركزية الأميركية الاعترافات بفشل مشروع تدريب المقاتلين السوريين.

وبحسب صحيفة «واشنطن بوست» فإنّ الفشل يعكس خلل استراتيجية واشنطن المعروفة ببرامج الدعم الأمني، وأمام هذا الفشل والرغبة بعدم التصادم واستثمار المال السعودي دفعت واشنطن إلى تجميع فصيل أسمته «قوات سورية الديمقراطية» التي تضمّ وحدات الحماية الكردية ومجموعة من مكوّنات عربية وعشائرية في مسعى لإظهار جدية واشنطن في مواجهة التنظيمات الإرهابية على الأرض. فمن وجهة النظر الأميركية لا يمكن أن تبقى مكتوفة الأيدي أمام الدور الروسي في المواجهة، فيما الخيارات المطروحة أمامها إما دعم «داعش» و«النصرة» وهو ما يضعها في مواجهة موسكو، أو دعم تنظيمات مكشوفة الولاء لتنظيم «القاعدة» وهي لا تتناسب والقاموس الروسي للتنظيمات المعتدلة، ليغدو الفصيل الجديد الخيار الأميركي الوحيد لضرب عصافير عدة بحجر واحد، بخاصة أنّ وجود وحدات الحماية الكردية ضامن لعدم أسلمتها ولا تثير شكوك موسكو والقيادة السورية التي أعلنت في أكثر من مناسبة عن دعم تلك الوحدات بالسلاح والمعلومات.

الحجر الأميركي أصاب أهداف واشنطن وسقط على رأس أنقرة فعلا صراخ أحمد داوود أوغلو مستدعيا السفيرين الأميركي والروسي للاحتجاج، معتبراً أنّ الخطوة تهدّد الأمن القومي التركي للترابط الوثيق بين حزب الاتحاد الديمقراطي وحزب العمال الكردستاني. صراخ أوغلو تجاهلته واشنطن قبل موسكو لإدراك الأولى بأنّ الورقة التركية باتت محروقة، موقف عبّر عنه ديفيد غولدمان في دورية «آسيا تايمز» الأميركية بوصف تركيا بالدولة الفاشلة القادمة في الشرق الأوسط نظراً لوضع أردوغان المحرج بعد صعود الأحزاب الكردية داخل البلاد ووصولها البرلمان، وتخلي كل من روسيا والولايات المتحدة عنه وإذلالهما له علناً. فواشنطن غيّرت استراتيجيتها في سورية بضغط روسي، وروسيا اخترقت أجواء تركيا من دون رادع بما يمهّد لانهيار «العثمانية الأردوغانية الجديدة» و«العلمانية القومية القديمة» ويُنهي دور تركيا الدولة التي نشأت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ويجعلها «كبش فداء» ضرورياً في ما يجري بالشرق الأوسط، وربما لهذه الأسباب سحب حلف شمال الأطلسي صواريخ الباتريوت من أراضيها.

تفاهمت واشنطن وموسكو على حدود دنيا تمنع الذهاب للمواجهة والصدام الذي يتمناه مراهقو السياسة والسائرون بدولهم إلى الهاوية، فدفعت الرياض ثمن رهاناتها، وتلقت أنقرة الضربة دون أن تنبسا ببنت شفة.

«توب نيوز»

هل هم سوريُّون؟

– منذ حرب الأميركيين لاحتلال العراق نجحت واشنطن في تسويق فرضية حق دولة أجنبية بالتحدّث عن أحقية رحيل حاكم بلد يناهضها في سياساته، باعتبار ذلك هو الطريق لاستقرار هذا البلد، من دون ربط ذلك بالاحتكام إلى إرادة الشعب.

– في كلّ الحروب التي خاضتها المقاومات الشعبية ضدّ الاحتلال الأميركي كان سقف التضامن معها هو المناداة بحقها في تقرير مصيرها وتحديد نظام الحكم الذي تريد، بينما يكون واضحاً أن الحاكم مجرد عميل نصّبه الاحتلال.

– كرّر الأميركيون فعلتهم في ليبيا.

– ما فعله «ثوار الربيع العربي»، ولاقى التصفيق خدعة بصرية لتسويق لعبة التدخل في تسمية الحكام وخلعهم من وراء ظهر الشعوب، بينما الصحيح المناداة بانتخابات نزيهة وضمانات لنزاهتها.

– السعودية نظام بلا دستور ولا انتخابات وتقول مَن يرحل ومَن يبقى باسم الديمقراطية!

– يردّد الأميركي والفرنسي والتركي والسعودي بوقاحة: لا مستقبل للرئيس السوري في بلده...!

الجواب الواجب تكراره وترسيخه لتأكيد حقوق الشعوب الحصرية بتسمية حكامها بالانتخاب فقط، هو جواب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين: هل هم سوريّون ليقرّروا مَن يحكم سورية؟

التعليق السياسي

قراءة في الهبّة الشعبية الفلسطينية

■ رامز مصطفى

مهما تكن قراءتنا للهبّة الشعبية التي فجرها الشباب الفلسطيني في وجه الاحتلال «الإسرائيلي» من دون قرار لتنظيم أو فصيل، – لا يعني أنها نقيصة للفصائل والقوى السياسية الفلسطينية، فالانتفاضة الأولى عام 1987 لم تكن بقرار سياسي من فصيل أو مجموع الفصائل، بل جاءت رداً بشكل مباشر على عملية دهس متعمّد لستة عمال فلسطينيين في قطاع غزة من قبل أحد المستوطنين الصهاينة، لتتدحرج الغضبة الشعبية آنذاك نحو انتفاضة شاملة في القطاع والضفة.

إنني أرى في هذه الهبة بارقة أمل جديدة، وقد فتحت ثغرة كبيرة في جدار الأفق المغلق في وجه تطلعات شعبنا، الباحث عن نيل حريته واستقلاله الوطني الناجز فوق كامل ترابه الوطني فلسطيني. ودماء هؤلاء الشبان الفلسطينيين وتضحياتهم وكفاحهم في كلّ من القدس والضفة والقطاع والأراضي الفلسطينية المغتصبة عام 1948، هي من أسهمت في فتح هذا الأفق، ملقيةً حجراً كبيراً في مياه رتابة المشهد الكفاحي لشعبنا، الذي من شأنه قلب الكثير من المعادلات إذا ما استطاعت هبة شعبنا الإفلات من محاولات احتوائها نحو انتفاضة ثالثة، والمطلوب حمايتها من الوقوع في شرك التثمير السياسي كرافعة لاستئناف المفاوضات البائسة والعقيمة.

البعض حاول بشكل بائس أن يُظهر الهبة الشعبية للشباب الفلسطيني على أنها جاءت انعكاساً لحالة الإحباط واليأس التي يعيشها الشعب الفلسطيني، وهذا البعض لم يمنح نفسه ولو لبعض من الوقت القصير قبل الخلاصة المشككة حدّ الاتهام أنها مجموعة محبطة ويائسة لا أمل أو مرتجى منها. واليوم وبعد أن وصل عدد أيام الهبة إلى الأسبوعين وعشرات الشهداء والجرحى، وأعمال مقاومة بما تيسّر لهؤلاء الشبان من أدوات ووسائل وأساليب تُعينهم على مقارعة الاحتلال وإرهاب مستوطنيه، لتعمّ هبتهم سائر الأراضي الفلسطينية من أعمال الطعن والدهس وإلقاء الزجاجات الحارقة ورشق الحجارة، وحتى إطلاق النار على الحافلة التي يستقلها مستوطنون في القدس المحتلة. ماذا سيتفوّه هذا البعض عن الهبة الشاملة، التي تذهب حثيثاً نحو الانتفاضة الثالثة؟ هل سيبقون عند رأيهم أنّ هؤلاء ليسوا سوى شبان فقدوا كلّ أمل في المستقبل؟ أجزم أنه يتغيّر تبعاً للتطورات المرشحة نحو مزيد من التأزم والتصعيد والمواجهة في ظلّ استمرار الاحتلال وحكومة نتنياهو في إجرامهم وتنفيذهم الإعدامات الميدانية بحق شبابنا وأطفالنا وفتياتنا ونسائنا، وارتفاع وتيرة الاستباحات والإقتحامات للمسجد الأقصى وتدنيس باحاته.

والبعض الآخر أطلق على شبان الهبة الشعبية توصيف «جيل أوسلو»، من دون أن يُدركوا أو لا يُدركوا، أنّ هذا التوصيف لا يليق بتضحيات ونضالات هؤلاء الشبان في تصدّيهم ومواجهاتهم لقوات الاحتلال وقطعان المستوطنين المنفلتين بمواكبة وحماية الشرطة «الإسرائيلية» هذا أولاً،

أما ثانياً فإنّ هؤلاء الشبان ليسوا «جيل أوسلو» الذين فرطّ وتنازل، بل هم جيل ما بعد «أوسلو»، الذي اكتوى بما جلبته هذه الاتفاقات من كوارث وطنية على عناوين القضية الفلسطينية، والتي تنازلت عن 78 بالمائة من أرض فلسطين، ومن كوارثها أنّ الاستيطان ازداد وتفشّى وانفلت بطريقة غير مسبوقة، وعاصمة فلسطين مدينة القدس تهوّد فوق الأرض وتحتها، والمسجد الأقصى يعملون على السيطرة الكلية عليه، وفوق ذلك حصار مطبق على قطاع غزة، وأعداد الأسرى في ازدياد، وتنسيق أمني وفّر على الاحتلال أن يكون احتلالاً مكلفاً، بل حوّله ليكون الأرخص بسبب هذا التماهي والإفراط في التعاون الأمني الذي لم يتوقف حتى اللحظة، ولو أنّ هذا الجيل هو جيل «أوسلو» لكان تطبّع بثقافته، ومُسحت «داتا» ذاكرته الوطنية لصالح ثقافة الخنوع والإذعان والإستسلام، والتسليم بالاحتلال كأمر الواقع.

صحيح أنّ هؤلاء الشبان يفتقدون إلى القيادة ومركز التوجيه والتحرك في الشارع، ولا توجد لديهم غرفة عمليات تدير عمليات الطعن والدعس ورشق الحجارة واقتحام الحواجز وسياجاتهم المصطنعة بين مناطق الوطن الواحد. وهذه ليست من العيوب، بل غيابها أقله فيه من إيجابيات ما يجري على الأرض الفلسطينية هذه الأيام، في سياق الهبة التي تطرق أبواب الانتفاضة الثالثة وهي قريبة، بعكس ما يتمناه البعض أن تبقى على وضعها الذي بدأت به، على شاكلة الطفرة ليس إلاّ. الأمر الذي يُحتّم على الفصائل وفي ظلّ انسداد أفق المصالحة وإنهاء الانقسام، أن تشكل هذه الهبة العنوان الوطني الذي تلتقي عنده وحوله ولأجله هذه الفصائل وعلى وجه السرعة من دون أية شروط أو اشتراطات مسبقة من أيّ فصيل من الفصائل. خصوصاً أنّ هناك مؤشرات مشجعة تقع في سياق دعوات الجميع للقاء حول الهبة وضرورة رعايتها والإحاطة بها ودعمها وحمايتها، وتحديد رؤية موحدة حول الأهداف في سياق يجب تثمير الهبة أو الانتفاضة عندما نصل إليها، بالمعنى الوطني والسياسي الذي يصون دماء وتضحيات أبناء شعبنا وفي مقدمتهم الشباب الفلسطيني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الفصائل تُدرك جيداً وعلى ضوء التجارب السابقة، ألاّ تستعجل عسكرة الهبّة أو الانتفاضة، على أن يُترك الأمر رهن التطورات، وما يتمّ الاتفاق عليه في أولويات عناوين المقاومة ومندرجاتها وأدواتها وأشكالها. وبالتالي إبقاء قطاع غزة على تحركاته الراهنة من إسناد ودعم ومشاغلة الاحتلال في مناطق غلاف القطاع، من دون أن نسمح لحكومة نتنياهو أن تهرب أو تُهرّب مآزقها المتراكمة والمتدحرجة، على حساب ما تشهده أراضي الضفة والقدس من أعمال انتفاضة.

في تموز من العام 2014 أقدمت مجموعة من المستوطنين على حرق الفتى المقدسي الشهيد محمد أبو خضير حياً. فهّبت القدس والضفة على أثر ذلك، يوماً كان نتنياهو قلقاً جداً، فذهب إلى حرب ضدّ قطاع غزة حتى يُخمد الهبّة التي كانت تسير حثيثاً نحو انتفاضة ثالثة. لأنّ الضفة تمثل الخطر الإستراتيجي على الكيان ومخططاته.

وإذا أطلقت المقاومة صواريخها في هذا التوقيت فالمستفيد هو الكيان ونتنياهو. وهذا الأمر يجب أن يبقى رهناً للتطورات ليُبنى على الشيء مقتضاه.

وما يجري في الأراضي الفلسطينية منذ ما يزيد عن الأسبوعين، مختلف تماماً عما جرى خلال الانتفاضتين السابقتين عام 1987 و 2000، من حيث شمولها كلّ الأرض الفلسطينية من بحرها إلى نهرها، وهذا ما يُرعب الاحتلال وحكومة نتنياهو. فالمناطق المغتصبة في العام 1948، لطالما اعتبرها الاحتلال الصهيوني بأنها خارج أية حسابات، على اعتبار أنه يبني أوهام تطلعاته وأحلامه ومستقبله على أنّ الأرض الفلسطينية عام 1948 في أسوأ نتائج أية عملية سياسية مع السلطة راهناً أو مستقبلاً، ستُشكل «دولته اليهودية» المزعومة، وأن لا مستقبل للفلسطينيين في تلك «الدولة» الهجينة. وهو لا يدرك أن لا مستقبل له مطلقاً على الأرض الفلسطينية مهما طال الزمن. من هنا تنظر حكومة نتنياهو بعين القلق والخوف على هذا المستقبل الذي لم يعد مضموناً في ظلّ هذا التطور الخطير بالنسبة لتلك الحكومة الصهيونية.

ومن المؤكد أنّ الدوافع وراء تحرك أبناء شعبنا في مناطق الجليل والمثلث ووادي عارة والنقب، هي ذات الدوافع التي حركت شبان الضفة والقدس وغزة، حيث الاحتلال الغاصب بجرائمه وممارساته وقوانينه العنصرية يقع في أولويات تلك الدوافع. وبالتأكيد يجب البناء على تحركات أهلنا داخل ما يسمى «الخط الأخضر»، ولا يجوز في أي حال من الأحوال القول أو الإيحاء بأنّ أمرهم لا يعنينا كونهم وكما يعتقد العدو الصهيوني واهماً أنهم خارج أية حسابات فلسطينية بالمعنى السياسي أو الوطني، الأمر الذي سيوظفه الاحتلال في فرض المزيد من قوانينه العنصرية الجائرة بحق ما يزيد عن مليون وثلاثمائة ألف فلسطيني.

الهبّة الشعبية للانتفاضة الثالثة يعوّل ويُبنى عليها في تصحيح مسار ما أوقعتنا فيه اتفاقات «أوسلو» ومتطلباتها من ارتهان اقتصادي وأمني وسياسي، يُثمّره الاحتلال في فرض ابتزازه من أجل تقديم المزيد من التنازلات لصالحه، على حساب عناوين قضيتنا الوطنية. وبالتالي هذه الهبّة بشمولها كلّ الأرض الفلسطينية، تأتي رداً على منطق «أوسلو» الذي تنازل عن 78 بالمائة من أرض فلسطين، فهي اليوم تعيد رسم حدود الوطن الفلسطيني على مساحة 27009 كم2. وثانياً كسر فكرة السيطرة على المسجد الأقصى، التي يعمل عليها الاحتلال لتتحوّل إلى واقع مفروض، من خلال التقسيم الزماني والمكاني، وصولاً إلى وضع اليد بالمطلق عليه، لإشادة ما يسمّونه زعماً «الهيكل».

أما ثالثاً، نعم الهبّة الانتفاضة وحدها المأمول منها أن تعيد تصويب البوصلة باتجاه فلسطين وقضية القدس والمسجد الأقصى، بعد أن تمكنت الأحداث والحروب التي تشهدها العديد من دول المنطقة منذ خمس سنوات، من سحب القضية الفلسطينية من سلّم أولويات العرب والمسلمين، لتصبح في أخر سلم تللك الألويات.

عواصف «سوخوي» و«كاليبر» روسية تشنّ حرب الخير على الشرّ
الحرب المقدّسة بدأت حقاً وعالم صديق يتكوّن

■ هاني الحلبي

عالم جديد يُطلق صرخته الأولى من السماء السورية بعاصفة سوخوي وميغ روسية سورية، يقف مجدداً على قدميه ويضع البشرية على مشارف عصر أفضل.

وحده الحبر الأعظم البابا فرنسيس أصاب بوصفه الحرب على سورية أنها حرب الشر على الخير. وأعراب نكرة وتبنٌ بشرية من مئتي دولة لم يروا ما رآه سوى «أن ننتظر من يربح لنقدم الزيت والطاعة» للطغيان الأميركي الخليجي الإرهابي.

لكن مع صواريخ «كاليبر» الروسية المباركة انطلقت من قزوين لتدمّر أعداء سورية في مقارّهم. تسقط قضاءً وقدراً قومياً إنسانياً. تؤكد أننا لسنا من الأمم التي تتنازل عن حقها في الحياة والتقدم والقوة. وأنّ لنا حلفاء وجود يخوضون حربنا المقدّسة مع شرفائنا ضدّ نفاق حكومات الغرب الإرهابية المجرمة التي لم تبلغ حدّ الاعتراف بالجريمة التي تشنّها عبر التاريخ علينا من مؤامرات التقسيم والاحتلال وتأسيس كيان العدو اليهودي إلى تدمير العراق وسورية ولبنان واليمن.

من روما إلى واشنطن؛ مسار قرون من العنف والسفك والدمّ والسحق لكلّ جميل فينا وبيننا. لكلّ خير عندنا ومنّا، طوراً باسم الله وطوراً باسم الدين. تارة باسم الحقوق وتارة باسم الأمن القومي. ولو تمّ هذا القَدَر الغربي فينا عن يد «بلاك ووتر» أو مسوخ «داعش» و«النصرة» وأذنابهم وأطيافهم في جيوش مجرمة. فالوسيلة ليست عبرة ما دام الهدف تدمير روحنا وحضارتنا التي يبدون أمامهما صغاراً!

عشر سنوات والمقاومة محاصَرة، في لبنان ودمشق. أربعة عقود ونيّف والثورة في طهران معاقَبة لأنها أسقطت شاهها حليف الاغتصاب والاستكبار. ليمنعوا أن يمتدّ طيفها ومنطقها البنّاء الرشيد إلى عالم عربي أصمّ بوهم الشعوبية العنصرية والدينية وتضخم الذات وطيب العنصر والمحتَدّ ونقاء الدم. يخشَون الضوء! لأنهم عميان بصيرة. ويخشون الوقوف! لأنهم كسحاء روح. لكنكم «ملاقون أعظم انتصار لأعظم صبر في التاريخ». هكذا قال أنطون سعاده مؤسس الروح الجديدة التي تستلهمها النهضات في العالم. ولاحقاً تنتجه نحوه أمتنا وعالمها. فتجد في سوراقياها (سورية والعراق معاً) وعروبتها الجديدة الحقيقية العزوة والمرتجى. فتعلم أنّ دمشق – بغداد هي المسار الوحيد للخطة النظامية المعاكسة لمسار الإفناء اليهودي الصهيوني من فلسطين.

ومَن يذكر في أيّار الماضي لما تمّ اجتياح تدمر بمسوخ «داعش»، علّق الرئيس السوري بشار الأسد بأنّ الأسابيع المقبلة حاسمة والقيادة السورية تعدّ الهجوم الاستراتيجي. فليس الحسم الكبير يحدّده سقوط مدينة أو منطقة هنا او هناك. هذا إخفاق تكتيكي موقت ربما في تراكمه يؤثر على النصر. يُعيقه أو يؤخره. لكننا لو شئنا أن نفرّ من النصر لما وجدنا منه مفراً. فنحن منذورون له مهما كانت الأكلاف.

كيف؟

عامّة المحللين يتخذون من تخريفات المراكز البحثية الغربية منطلقات لمقالاتهم ودراساتهم. فما يصدر عن تلك المراكز، التي فيها نخب المفكرين الاستراتيجيين والعلماء والضباط المتقاعدين، يكون عندَهم قدراً وقضاءً لا محيدَ عنه. نافذاً كإرادة إلهية. بسبب أنه يصدر عن إرادة حكومة عالم خفية ليست كلّ حكومات الطغيان العالمي عندها إلا مجرد أقنعة مسرح أرضي تديره إرادة الاخطبوط اليهودي السائر في هذا العالم إلى «هرمجدون» مدمرة ليبقى منه بضعة أزواج نوعية تؤسس العالم اليهودي الجديد بالنسبة لهم. فتتطهّر الأرض من «الغوييم» النوافل. الذين وجودهم عبء على الموارد والثروات والمناخ والبيئة.

هؤلاء المحللون لم يفطنوا أنّ واحدية قيادة العالم أصبحت كذبة باهتة. وأنّ قوة الولايات المتحدة المدينة لقوة الصين الاقتصادية وتسليفاتها هي قوة افتراضية وغابرة. والرأسمال اليهودي الذي رفع العملة الخضراء بعد افتعال أزمة العام 1929 الاقتصادية لم يعُد وحده متحكماً في مؤشرات التقدّم للشعوب. يحكون عن تقسيم سورية كأنه حالٌ ومُطبق. كأنّ سورية جسد شلوٌ على مشرح غرف عملياتهم بلا حول ولا قوة ولا شعب ولا قيادة ولا جيش جبار لا يهون!!

يحكون عن كذبة المقاومة والانتصار على العدو الإسرائيلي؛ «إسرائيل انسحبت ولم تُهزم. انسحبت لتفجّر لبنان من الداخل وتحاصر المقاومة بخصومها وبمطلب تسليم سلاحها». وينسون انّ المقاومة نظام فكر ونهج حياة ومشروع ثورة إرادة وإطلاق عصر حرّ جديد في شرق جديد روحه مشرقية سورية.

إمبرطورية المال والصناعة والسلاح والاختراع والتكنولوجيا الفائقة تمنّ على باقي الأمم بالهواء الذي تتنفسه. وتتجه بعالمنا إلى إبادة محققة عبر حروب اختبار السلاح والمكتشفات في مسرح كأنه شاشة لعب عملاقة. يُباد شعب وتدمَّر قارة كأنهما من أشكال كرتون افتراضي فلا يرتجف قلبُ اللاعب ولا تئنّ له روح بشرية.

مَن يستنكر الغدر؟ لا أحد سوى الضعفاء الغافلين عن حقيقة مسار العالم نحو أتمته الجحيم! هكذا يظنّون.

مَن يرفض القهر؟ بضعةٌ حالمين يظنون أنّ حراكهم كاف لقلب حكم الفساد وعصاباته في لبنان إلى نظام عدلٍ. هكذا يحكمون علينا بأننا مساكين قدر الهلاك وما علينا سوى الانتظار!

لكن!

لم تتمكّن خطط إسرائيلية سعودية متلاحقة طيلة أربع سنوات من اختراق دمشق ولم تضعف لا همّة السوريين ولا همّة الجيش، بل كان يتمّ استيعاب كل هجوم يشترك فيه آلاف المسلحين المدمنين، فيشتت هجومهم ويكون معظمهم ضحايا ضلالهم من مقرن أم من غيره من أمراء الظلام.

لم تتمكّن عواصف خمسٌ من جنوب سوري، يشرف عليها كبار ضباط العدو وضباط عرب متعددو الجنسية وضباط أميركيون من إسقاط درعا، لأنّ الإرادة السورية رسمت خطاً أحمر حولها. ضمن خطة الإمساك بالمدن تمهيداً لتحرير الأرياف قريباً. ولم تسقط درعا رغم حجم الحشد الإرهابي والدعم الصهيوني اللوجستي والمباشر. بل لم تسقط حضر. القرية السورية المقاومة التي يرفض سكانها مغادرة بيوتهم فقادوا الدفاع عنها من نوافذها ومن متاريس موقتة على أطراف البلدة يدعمهم جيشهم السوري الوطني ورجال المقاومة الأوفياء. وحضر صمام أمان سورية ولبنان معاً. إنْ سقط انفتح سدّ المسوخ من الأردن المتواطئ إلى لبنان فرق العملة بقادته العابثين. حيث ينتظر فيه مَن يلاقي الزحف المريب المعادي برايات بيضاء وشيكات مكتوبة. ثلاثون من الفضة بها تباع المواقف وروح التاريخ. علّ دولة درزية تطلق صيحتها الأولى على يد نتنياهو قبل سقوطه المدوّي قريباً.

لم تسقط حلب. لم تسقط دير الزور ومطارها. بل يتمّ التوسّع منه نحو ريفها. رغم حصار رهيب. يتكاثر فيه منتهزو الوجع والجوع والألم ليبتزوا شعبهم وأهلهم ككلّ حيتان الحروب.

في المقابل ماذا أنجز الإرهابيون وأعوانهم؟

فجّروا نواويس تدمر، حتى توجّعت آلهتها. وما زالوا يفخّخون قناطر نصرها. لتفجيرها بالتقسيط. من أجل رفد الميديا النفسية بجرعات تذكير مستمرة.

بالأمس حكموا على محكومين عسفاً وظلماً بالرمي من طوابق مرتفعة في الموصل، تحقيقاً لعدالة جنون. وخلال رمضان الماضي أعدموا أطفالاً لأنهم فطروا أو لأنهم لم يصوموا لسبب ما. لم يكلفوا عناء إرشادهم بكلمة سواء تقرّبهم إلى الله. والله كريم رحيم. بل حسموا قدرَهم بالقتل صلباً في ساحات المدن. ما ألذ الكفرَ بهم!

مَن يستنكر إبادة شعب اليمن ونسف حضارته العريقة. أقدم حضارة وبيئة تاريخية مجتمعية في الجزيرة العربية؟ قلّة من السياسيين ومن المسلمين مَن فيهم شرف استنكروا. من حراك مجتمعي مدني. من صنّاع رأي. لماذا؟ لأنّ أثرياء العرب وطواغيت النفط لا يريدون أن تُكشف عورات ظلمهم! لأنهم يظنّون اليمن نسياً منسياً. حديقة سعودية خلفية. وبهذا الاستكبار يقودون شعباً من الأمراء يفوق تعداده ما تبقى من قبائل العرب في الربع الخالي وأطرافه. لكن للحياة حكمة أنّى لهم أن يفقهوها. سرعان ما ينقلب العرش بين أمراء كواسر!

تميُّز الحق عن الباطل لا يتمّ في مناظرة ولا في وليمة ولا في لقاء متلفز. تميُّزه لا يكون إلا بالوجع والألم والعرق والجهاد والصبر والولادة المؤلمة. الصبر المقدس الذي لولاه لا فاضل ولا مفضول.

فلا شك في أنّ الحياة ستُنصف اليمن وسورية ولبنان المقاوم وشعب فلسطين. أما قادتها ومستعربوها، كقادة ومستعربي كلّ شعب سيق إلى مهانة الاستسلام من شعوبنا، فمصيرهم التهلكة والتبرّؤ من وجودهم ليكونوا عبرة الحياة الكريمة في الأجيال.

كيف يمكن أن يخون المرء بلاده؟ كيف لفلسطيني أن يستعرب خدمة لاستخبارات العدو. فيندسّ بين أهله ورفاق حيّه وعائلته ليُخبر عنهم. بل ليكون سكيناً في خواصرهم وسيفاً في ظهورهم. كيف يمكن أن يكون؟

الحرب المقدّسة بدأت

حقاً بدأت. وكلّ منا يساءل نفسه. أين موقعي؟ أيكون موقعي مع مَن يحمل السكين لذبحي، لأنه يدفع لي راتباً وعمولة شرط أن أقبل التصوير المتلفز فأكون نجماً ذبيحاً!! تستضيفني شاشات العتم والدم والارتزاق! أيكون موقعي مع شعبي وأهلي وتاريخي وجيشي وبلدي وقائدي. ولو ظلمني حيناً. فإنه حقيقتي وتاريخي وقيمي ووجودي وإيماني واستمراري الكريم بالحق. لا شك في أنّ العاقل يعرف موقعه وهو محفوظ له، ككلّ حق أبناء الحياة في صنع الحياة.

في الميدان

أكدت روسيا أنها دولة عظمى عتيدة قادرة على استعادة مبادرة استراتيجية تنقل العالم إلى عصر جديد. فتختار اللحظة الصفر للبدء في التنفيذ بعد أن أشبعت الخطط درساً وتركت الوقائع تتلاحق وتدين المتواطئين.

أكدت هيبتها، وقدرتها على اتخاذ قرار منفرد بلا عودة إلى أي هيئة أممية ورقية بعد أن أعياها تلكؤ الدول الكبرى عن التنسيق في حلّ منصف وخطة لوقف الدم والنار في سورية، وبعد أن لمست وتحققت من خطة تطويقها من جورجيا إلى اوكرانيا ونقل صواريخ باليستية إلى تركيا ودول كانت لفترة قريبة بعض منظومتها الدولية في أوروبا الشرقية. وبعدما رأت ما تعدّ له أميركا في بحر الصين الجنوبي من استكبار دولي تحاول فرض وقائع وشروط على جارتها وحليفتها الصين في مداها الإقليمي البحري. فضلاً عن تغاضيها عن الجرائم اليهودية في فلسطين ونسف دورها الوسيط شكلاً بين المحتلّ والسلطة المتواطئة. وتعاونها مع تركيا على مدّ خطوط الإمداد والدعم والتسليح والتدريب للبنى الإرهابية في الميدان؛ بينما في العلن تقود تحالفاً ستينياً يوجهه ويحدّد له خطوط انتشاره في العراق والشام.

بعد سنة من لعبة القط الأميركي والفأر الداعشية تؤكد الوقائع السقوط الأخلاقي والقيمي للسياسة الأميركية وحلفائها لتبدأ حربنا المقدّسة لتحرير أرضنا من عبث المتآمرين.

وصواريخ «كاليبر» الروسية من قزوين التي أطلقت من بوارج ومدمرات روسية من المياه الإقليمية الروسية أكدت أنها حرب مقدّسة روسية كما هي حرب مقدّسة سورية وعراقية. حرب إنسانية كاملة الأوصاف ضدّ أعداء الإنسانية ودينها وقيمها. أكدت سقوط الأعراف السابقة والحدود الدولية السابقة ورسمت رقعة المحور الحق ومداه الدولي وسماءه الاستراتيجية وطلبت إخلاءها كافة من أي وجود مشبوه غريب انعدم الصدق والجدية في خططه وأدائه.

روسيا تضع ثقلها وهيبتها وأمنها وسلامها وشعبها وتستنفر روحها التاريخية من أجل انتصار محقق. لتقول إنّ أمن دمشق وبغداد وبيروت، كما هو أمن طهران، هو هو موسكو.